هما سيد عبد الرحمن
قصة قصيرة
العرض الأخير

الجزء الأول

-"لن تصدق أذنيك! لقد حصلت عليه!"

انطلقت شهقة مكتومه من حلق أنس واتسعت عيناه في ذهول وهو يجيبه عبر الهاتف:

-"ماذا تقول يا عمار هل جننت؟ كم أنت عنيد لقد نفذت ما في رأسك رغم جميع التحذيرات"

ضحكة ساخرة مجلجلة أطلقها عمار أرغمت أنس على إبعاد الهاتف عن أذنيه لثواني قبل أن يعيده مسرعاً ليستمع لباقي حديثه، استطرد في ثقة قائلاً:

-"أنتم حقاً مجموعة من الجبناء لا تستحقون المجهود الذي بذلته لأحصل عليه"

ثم اكتسب صوته نبرةً أكثر جدية وهو يتابع:

-"جهز المكان وأخبر البقية أننا سنجتمع الليلة!"

أجابه أنس في تردد:

-"حسناً، ولكنني لن أخبر مالك"

احتقنت الدماء في وجه عمار وصاح في حنق:

-"بل ستخبره وسيحضر وإن لم تفعل سأفعل ذلك بطريقتي"

ثم أنهى المكالمة تاركاً أنس يصارع حيرته فهو يعلم جيداً مدى اعتراض مالك على الأمر برمته وكم سيغضب إن أدخلوه فيه رغماً عنه خاصةً، وأنه من ذوي القلوب الضعيفة وقد لا يتحمل ما سيحدث!

****

الساعة الثامنة مساءً

وصل إلى منزل أنس كل من زين وشادي، وكان قد أكد عليهما ألا يخبرا مالك عن حقيقة ما ينوون فعله، لم يمضِ وقت طويل حتى وصل مالك وهو يضحك ويمازحهم كعادته، لكن شيئاً غير مريح كان يرتسم على ملامح وجوههم لم يستطيعوا إخفاءه،

حتى أنهم لم يبادلوه المزاح بل اكتفوا برسم بعض الابتسامات المصطنعة وهم يتبادلون نظرات تشي بالتوتر الذي يفتك بأعصابهم، سارع أنس باختلاق حوار مع مالك خشية أن يلاحظ ما يريبه فيغادر قبل وصول عمار، تجاهل مالك ذلك الشعور بعدم الارتياح الذي يجتاحه منذ وصوله وانخرط مع أنس في الحديث حتى وصل عمار الذي اتسعت ابتسامته ما أن وقعت عيناه على مالك، تعجب أنس كثيراً لمدى إصراره على وجود مالك لكنه لم يجرؤ على معارضته أو البوح بما في قلبه فجميعهم يخشون عمار ذو البنية القوية والقلب الحديدي، حتى أن جميع معارفهم في المنطقة يحسبون لكل فرد منهم ألف حساب لوجوده بصحبتهم دوماً، ويحذرون غضبه فعصبتيه ثمنها غالي لا يتجرأ أحد على المغامرة بدفعه.

تبادل عمار مع أنس بعينيه حوار صامت، قام الأخير على أثره بالحديث على الفور قائلاً:

-"لقد أعددت لكم مجلساً من نوع خاص سيعجبكم كثيراً، اتبعوني!"

قالها متجهاً نحو باب الشقة يتبعونه جميعاً والقلق يتراقص في أعينهم عدا عمار الذي كانت عيناه تتقدان في حماسة.

نزل إلى الطابق السفلي ثم أخرج من جيبه مفتاح شقة صغيرة مكونة من غرفة واحده ومطبخ صغير يلاصقه حمام صغير، كانت مخصصة لبواب العمارة قبل يمتنع السكان عن دفع راتبه، فترك المكان غاضباً ولم يحضروا أحد غيره منذ ذلك الحين، وبقي مفتاح الشقة مع والد أنس كونه رئيس اتحاد ملاك العقار، تمكن أنس بأوامر من عمار من أخذ المفتاح خلسة دون علم والده بين الحين والآخر، لتكون تلك الشقة تحت تصرفهم عند الحاجة، ثم قام اليوم بعد انتهاء مكالمته مع عمار على عمل بعض التجهيزات الخاصة التي طلبها منه ذلك الأخير.

اتسعت أعينهم في دهشة حينما وقعت أنظارهم على عددٍ من الأفرشة تكسوا الأرض، وقطعة عريضة من القماش الأبيض تتدلى على الجدار لتغطي الجزء الأكبر منه، وفي الجهة المقابلة له طاولة صغيرة عليها جهاز عرض ضوئي"Projector" عدسته موجهة نحو الجدار ومتصل بحاسوب، قام عمار بتوصيل "فلاشة" به ثم قال في صرامة:

-" هيا اجلسوا سيبدأ العرض الآن!"

بدأ مالك يفهم ما يجري فقال منفعلاً:

-"لقد نفذت ما في رأسك ولم تكترث لأحد، لستُ مجبراً على البقاء هنا" ثم سارع باتجاه الباب، ليجمده مكانه صوت عمار الجهوري وهو يصيح:

-"بل ستبقى رغماً عنك طالما بت تعرف كل شيء لا يسعك الانسحاب الآن ولن أسمح لك بذلك!"

قالها وهو ينقض على أنس لينتزع من يده مفتاح الشقة ويتجه نحو بابها كالثور الهائج بعد أن دفع مالك بكلتا يديه فأسقطه أرضاً وأغلق الباب بالمفتاح، ثم عاد في هدوء ليتابع ما كان يفعله.

انطلقت من عيني مالك نظرة غضب مشتعلة باتجاه أنس، تحاشاها ذلك الأخير وهو يتجه نحو مكبس الضوء ليغلقه والشعور بالذنب ينقر جوفه لكن الوقت قد تأخر كثيراً على تصحيح ذلك الخطأ الآن، فآثر الصمت وهو يتمنى من أعماق قلبه أن يكون عمار محقاً وينتهي كل شيء على خير.

ضغط عمار زر التشغيل وهو يشعر بالزهو للوصول إلى تلك اللحظة، فقد خاض العديد من الصعاب للحصول عليه بعد كل ما تردد عنه من حكايات أراد أن يثبت بنفسه أنها محض هراء لا أكثر!

بدأ العرض وأصبح المكان أشبه بصالة سينما مصغرة، تضاعفت سرعة ضربات قلوبهم واحتبست أنفاسهم في انتظار ما ستراه أعينهم خلال ثواني، مضت عدة دقائق وقد بدأ الاطمئنان يتسلل إلى قلوبهم شيئاً فشيئاً، وما يرونه لا يتعدى فيلم رعب عادي، ساد الصمت لبرهة وقد بدأوا يندمجون في أحداث الفيلم، وبعد مضي نحو نصف الساعة أصبحوا يتبادلون الأحاديث الجانبية تارة والصيحات مع المشاهد المفزعة تارةً أخرى، حتى ذلك المشهد الذي جعل فيه البطل يلقي تعويذة!

****

قبل عدة أسابيع

انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي تلك الشائعة عن تسريب فيلم يحتوي على تعاويذ حقيقية ضمن أحداثه تؤثر على المشاهدين، تزايد الجدل حول صحة تلك الشائعات وإمكانية تحققها من عدمه، ثم احتد الجدال بين عمار ومالك حول ذلك الموضوع، وقد حاول مالك عرض الكثير من المقالات التحذيرية لإثبات صحة تلك الشائعة وهو الذي عُرف دوماً بكثرة قراءته واطلاعه، فاستطاع أن يكسب اتفاق كل من أنس وزين وشادي مع رأيه، مما دفع عمار إلى الإصرار على الحصول على ذلك الفيلم ليحقق انتصاره على مالك فلا يمكن أن يسمح له بأن يكون على حق بعد ذلك الجدال الساخن أمام الجميع وأن يقبل هو بدور الجاهل ذو الرأي الخاطئ.

****

ران الصمت عليهم جميعاً لثواني وهم يحدقون في الشاشة أمامهم وينصتون إلى تلك التعويذة التي يتلوها البطل، ومزيج من نظرات الخوف والترقب تتطاير من أعينهم في انتظار تبعات ذلك، ما أن أنهى البطل تلاوة تعويذته حتى ظهر فجأة على الشاشة كائن بشع الهيئة طويل القامة ملامح وجهه كجثة متحللة وعيناه مشقوقتان كأعين الثعبان، لون جلده مائل للحمرة، وله يدين ضخمتين ذات أصابع طويلة شديدة النحافة، ارتجفت أجسادهم من بشاعة منظره خاصة مع تلك النظرات التي شعر كل منهم أنها مخصصة له وحده، ثم كادت قلوبهم تتوقف حينما تزامن مع ظهوره صوت صراخ عنيف يرتج صداه في أرجاء المكان من حولهم قادم من خلفهم هذه المرة وليس من الشاشة!

سقط زين أرضاً وهو يلتفت إلى الوراء في ذعر باحثاً عن مصدر الصراخ، بينما تعالت صرخات الفزع المنطلقة من حلوقهم جميعاً وهم يرون طيفاً قصير القامة يركض في الظلام باتجاه الباب محاولاً فتحه دون جدوى ولا يكف عن الصراخ، انطلق أنس بقدمين بالكاد يستطيع الوقوف عليهما نحو مكبس الضوء ليفتحه بسرعة، ثم فغر فاه واتسعت عيناه في ذهول حينما وقعتا على مصدر الصراخ والذي لم يكن سوى "لارا" اخته الصغرى ذات السبع سنوات، ركضت نحوه ودفنت وجهها في صدره وهي تبكي ويرتجف جسدها في هلع، بينما التقط البقية أنفاسهم وألقى كل منهم بجسده على الأرض في ارتياح بعد أن كاد يغشى عليهم من شدة الخوف.

انتظر أنس حتى هدأت لارا قليلاً ثم وبخها قائلاً:

-"كيف دخلتي إلى هنا!"

ازدردت ريقها في ارتباك ثم أجابته في تردد:

-"لقد سمعتك وأنت تتحدث مع أصدقائك عن ذلك الفيلم ودفعني الفضول لأشاهده أنا أيضاً، فتبعتكم إلى هنا واختبأت في المطبخ أثناء جدالكم قبل أن تغلقوا الباب بالمفتاح"

تعالت ضحكة عمار إعجاباً بجرأتها فعقب قائلاً:

-"فتاة شجاعة جيد أنك لست جبانة كأخيكِ، سأسمح لك بمشاهدة الفيلم لآخره مكافأة لك"

هزت رأسها نفياً مسرعة وهي تجيبه:

-"لا لم أعد أرغب في ذلك أريد الخروج من هنا الآن"
أجابها عمار في هدوء وهو ينظر إلى أنس نظرةً ذات مغزى:

-"أخشى أن ذلك لم يعد ممكناً فخروجك الآن وحدك وعودتك إلى المنزل قد يكشف أمرنا ولن نغامر بذلك"

اقترب أنس من أذنيها هامساً:

-"بإمكانك البقاء في المطبخ واللعب بهاتفي" اتسعت ابتسامتها وقبلت بالعرض على الفور فأخذت منه الهاتف وعادت إلى المطبخ في رضا، بينما أغلق أنس الضوء وعاد عمار لمتابعة عرض الفيلم، لاحظ مالك أن المشهد الذي أوقفوا عنده العرض لم يكن هو نفسه عند العودة لتشغيله، ازدرد ريقه في ارتباك فلم يكن ذلك هو الشيء الوحيد غير الاعتيادي الذي لاحظه، ففي اللحظة التي أضاء فيها أنس الضوء عند صراخ لارا، هُيِّءَ إليه أنه رأى دوامة من دخان خفيف في ركن الغرفة المجاور للشاشة ما لبث أن تلاشى، لكنه آثر السكوت حتى لا يثير قلق البقية، الذين كانوا منشغلين في الضحك والتعليق على ما حدث قبل قليل.

انتهى الفيلم ومر كل شيء بسلام وقام عمار متجهاً نحو مالك تغمره نشوة الانتصار وهو يخاطبه قائلاً:

-"هل صدقت أن كل ما قلته ليس إلا هراء! انتهى الفيلم ولم يحدث شيء يذكر، لم تكن سوى مجرد شائعات تافهة لا أساس لها من الصحة غرضها الوحيد اللعب على أعصاب الجبناء أمثالك"

لم يجبه مالك بحرفٍ واحد وقرر المغادرة في صمت، وكذلك انصرف الجميع ظناً منهم أن الأمر قد انتهى ولم يخطر ببال أحدهم أنه لم يبدأ بعد!

الفصل الثاني

تقلب أنس في فراشه محاولاً النوم، لكن صورة ذلك الكائن البشع في الفيلم لم تفارقه ولازالت تؤرقه، غالب خوفه وأسبل جفنيه أملاً في النعاس والهروب من تلك الصور المخيفة المتراقصة في خياله، انتبه لعلو أصوات القطط والكلاب القادمة من الشارع، لم يستطع الجزم أكانت هكذا طوال الوقت أم أنها تزيد عن المألوف هذه الليلة، أطلق زفرة حارة في محاولة للتخلص من ذلك التوتر المسيطر على أعصابه، ثم اخترقت أنفه فجأة رائحة كريهة للغاية قادمة من خلفه، استدار برأسه باحثاً عن مصدرها فوجد لارا تدخل من باب الغرفة وتقترب من فراشه بخطوات بطيئة، تطلع فيها مدهوشاً وتلك الرائحة تزداد مع اقترابها، سألها بارتياب:

-" ماذا هناك يا لارا هل تريدين شيئاً؟"

لم تجبه وتابعت الاقتراب وهي خافضةٌ رأسها للأسفل، وشعرها منسدل يغطي معظم وجهها، ازدرد ريقه وصاح منفعلاً:

-"لارا توقفي الآن وأخبريني ماذا تريدين؟"

رفعت رأسها للأعلى وهي ترشقه بنظرات عجيبة، تجمدت الدماء في عروقه وهو يحدق في عينيها التي يراهما على ضوء المصباح الخافت المخصص للنوم والذي تعمد عدم إطفاؤه هذه الليلة تحديداً، تيبست الكلمات على شفتيه وهو يرى عيني لارا هما نفس عيني ذلك الكائن الذي كان في الفيلم، مشقوقتان تلمعان على نحوٍ يثير الهلع، ثم كاد قلبه يتوقف حينما تحدثت بذلك الصوت الخشن الأجش والذي حتماً لم يكن صوتها قائلة:

-"اذهب إلى هناك!"

ثم أشارت بيدها في الهواء، شعر أنس مع إشارتها وكأن الهواء انسحب من رئتيه دفعة واحدة وهو يجاهد ليلتقط أنفاسه، نظر ناحية لارا فلم يجدها بل ولم يجد غرفته من الأساس كان ملقى على الأرض في مكان لا يعرفه ومن حوله عدد كبير من الأشخاص الذين لم تكن ملامحهم واضحة نظراً لضعف الإضاءة من حولهم يحاولون الزحف مبتعدين عنه وهم ينوحون في هلع دون توقف، ثم ظهر ذلك الكائن فجأة لتخترق صرخاتهم المدوية أذنيه ويفيق فجأة زائغ العينين يتصبب العرق على

جبينه، يعلو صدره ويهبط بسرعة فائقة من تلاحق أنفاسه، يتطلع حوله مذعوراً ليجد نفسه في غرفته راقداً على فراشه، صرخ مستنكراً:

-"مستحيل! لم يكن حلماً"

قالها وهو يغادر غرفته مسرعاً إلى غرفة لارا، ليجدها تغط في سباتٍ عميق، تأمل وجهها الملائكي النائم ثم مد يده ليفتح عينيها لكنه تراجع وهو يغمغم محدثاً نفسه:

-"لا تكن أحمق!"

قالها وانصرف عائداً إلى غرفته وعقله يكاد ينفجر من فرط الحيرة!

****

في نفس الليلة

لم يمر ما حدث على مالك مرور الكرام، فقد ظل طوال الليل مستغرقاً في تصفح الانترنت، لقراءة المقالات المختلفة حول ذلك الفيلم وتأثير التعاويذ التي وردت فيه، العديد من المواقع تتحدث عنه لكن لا يمكن التحقق مما هو حقيقي وما هو مختلق، شعر بأنه يضيع وقته دون جدوى، كان يريد الوصول إلى المصدر الرئيسي للفيلم، من أين جاء ولماذا صُنع؟ انتزعه من انهماكه في القراءة صوت رنين هاتفه معلناً عن استقبال اتصال من شادي، ارتفع حاجبيه في دهشة عندما وجد الساعة تقترب من الثانية صباحاً، أجابه مسرعاً، ليبادره ذلك الأخير بالحديث بصوتٍ مرتجف قائلاً:

-" حدث معي شيء غريب للغاية يا مالك، أعلم أنك الوحيد الذي ستصدقني، كنت جالساً في غرفتي حينما داهمني شعور غريب بأني لست وحدي في الغرفة، شعرت بشيء يتحرك من حولي ثم ضاقت أنفاسي على نحوٍ مباغت ورأيت شيئاً يشبه كثيراً ذلك الكائن الذي كان في الفيلم يقف أمامي وصوت همس يتردد في أذني قائلاً: "اذهب إلى هناك!"

ثم وجدت نفسي وكأني مقيد لا أستطيع الحراك، حاولت الصراخ فلم يخرج صوتي، قبل أن ينتهي كل شيء دفعة واحدة وكأنني كنت أهذي، ومنذ ذلك الحين وأنا أرتجف هلعاً ولا أستطيع النوم"

ظل مالك صامتاً لا يعرف بما يجيب وقد فجر حديث شادي براكين الخوف والقلق في أعماقه، ثم أجابه متصنعا الهدوء:

-" يبدو أنك قد تأثرت بذلك الفيلم كثيراً، استرخي واقرأ بعض الآيات من القرآن الكريم حتى تهدأ نفسك ثم حاول النوم وسنلتقي غداً لنناقش الأمر"

سأله شادي في توسل:

-"هل تظن أنه كان مجرد حلم أو هذيان؟"

-"على الأرجح هو كذلك، فعقولنا تتأثر كثيراً بما نراه والحديث عن تلك التعاويذ قد هيأنا لاستقبال مشاهدة الفيلم بالكثير من الخوف والترقب"

تغيرت نبرة شادي لتكتسب عمقاً أكبر وهو يقول في خفوت:

-"وماذا إن كان ما يقال عن ذلك الفيلم حقيقياً وها قد بدأ يظهر تأثيره؟"

سرت قشعريرة باردة في جسد مالك وعقله يحاول التهرب من مواجهة تلك الحقيقة، ثم أجابه:

-" لو كان الأمر كذلك فسيحدث لنا جميعاً، لكني لم أشعر بأي شيء غير اعتيادي حتى الآن وهذا يرجح احتمال أن يكون ما شعرت به أمراً طارئاً لا أكثر"

نطق عبارته الأخيرة وعيناه مثبتتان على تعليق مكتوب أسفل إحدى المقالات المفتوحة أمامه، والمكتوب فيه:

-"لا تبحثوا عن ذلك الفيلم لا تقعوا في المصيدة!"

لم يكن محتوى التعليق هو ما أثار انتباهه وإنما كونها ليست المرة الأولى التي يراه فيها، استغل إنهاء شادي للمكالمة وجلس يبحث عنه في مواقع أخرى ليتأكد مما لاحظه، وبالفعل عثر عليه ومن نفس الحساب المجهول في عدد من المقالات الخاصة بالفيلم، لم يتردد كثيراً وقام بإرسال رسالة إلى صاحب الحساب يطلب فيه الحديث معه لأمر ضروري متعلق بمشاهدة الفيلم وكتب في الرسالة رقم هاتفه، ثم أرسلها منتظراً الرد على أحر من الجمر، لكن لم يبدُ أن رسالته ستجد رداً يذكر في تلك الليلة!

****

استيقظ مالك في الصباح على مكالمة من أنس يخبره بضرورة حضوره إليه اليوم، لم تحتو المكالمة على أية تفاصيل لكن لم يكن من الصعب على مالك استنتاج سبب ذلك الاجتماع، بالتأكيد شادي أثار ذعرهم جميعاً، لم يخطر بباله أن هناك ما هو أكبر من ذلك، سارع بفتح حاسوبه باحثاً عن إجابة رسالته لكنه صعق حينما لم يجد الرسالة، بل ولم يعثر على أثر لذلك الحساب من الأساس!

****

كان اجتماعهم مبكراً هذا اليوم فلم ينتصف النهار إلا وكانوا جميعاً بداخل شقة البواب في عمارة أنس بناءً على رغبته، ينتظرون وصول زين الذي تأخر كثيراً على غير العادة، زفر عمار في ضيق قائلاً:

-"لايزال هاتفه مغلق، لم أعد أطيق انتظاره أكثر من ذلك، هيا تحدث في الموضوع الهام الذي جمعتنا من جله"

كانت ملامح الجدية الممزوجة بالارتباك تظهر جلية على وجه أنس الشاحب، وعيني شادي الغائرتين من قلة النوم تحدقان فيه في ترقب، وكذلك مالك الذي يشغله أمر ذلك الحساب الغامض أكثر من أي شيء آخر، تنهد أنس في استسلام وقد قرر عدم انتظار زين أكثر من ذلك، شرع بالحديث قائلاً:

-"حدث معي شيء في غاية الغرابة بالأمس"

قاطعه شادي منهاراً وهو يوجه حديثه لمالك:

-"أرأيت! ألم أخبرك! لقد بدأ تأثير ذلك الفيلم علينا جميعاً"

ثم التفت نحو عمار وانقض عليه كالمجنون وسط نظراتهم الذاهلة وهو يصرخ في وجهه:

-"أنت السبب! أنت من فعل بنا ذلك"

صفعه عمار على وجهه صفعة طرحته أرضاً، وهو يحدق فيه بعينين مشتعلتين من فرط الغضب قائلاً:

-"ما الذي أصاب ذلك المعتوه؟"

لم يتمالك أنس أعصابه أكثر وحكى لهم كل ما حدث معه الليلة الماضية.

فقد شادي أعصابه وجعل يبكي كالأطفال وهو يقص عليهم ما حدث معه هو الآخر بعد انتهاء أنس من الحديث الذي أثار في قلوبهم الهلع جميعاً، ما عدا عمار الذي ظلت ملامحه جامده ينصت إليهما في صمت، قبل أن يمط شفتيه في لامبالاة قائلاً:

-"لا أرى ما يثير الاهتمام، ليست المرة الأولى التي يشاهد أحدهم فيها فيلماً مرعباً فتنتابه بعض الكوابيس جراء مشاهدته"

صاح أنس منفعلاً:

-"ليست كوابيس، لقد كان ما رأيته حقيقياً"

ابتسم ساخراً:

-"وكيف يكون حقيقياً وأنت بنفسك قلت أنك استيقظت في فراشك ووجدت أختك نائمة في فراشها أيضاً"

داهمت منطقية عبارته خيال أنس فأربكته، ثم تضاعفت دهشته حينما تحدث مالك للمرة الأولى قائلاً:

-"أعتقد أن عمار محق! هي مجرد كوابيس لا داعي لكل ذلك الفزع"

ارتفع حاجبي شادي وقد كان حديث مالك هو آخر ما توقع سماعه، بينما تطلع فيه عمار متعجباً لكنه شعر بالإطراء لاتفاقه معه، فقال منهياً ذلك الاجتماع الطارئ:

-"جيد إذن، لم تعد هناك حاجة لبقائنا هنا، أنا سأغادر!"

لكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى رن هاتف أنس يظهر على شاشته اسم زين، أجاب الاتصال قائلاً:

-"أين كنت؟ لماذا تأخرت هكذا وهاتفك مغلق؟!"

ثم فجأة جحظت عيناه وتبدلت ملامح وجهه وجعل جسده ينتفض على نحوٍ ملحوظ وهو يسمع نحيب أخوه زياد وهو يقول بكل لوعة الدنيا:

-" لقد مات زين!"

الجزء الثالث

حول جثة زين وقفوا في ذهول ترتجف قلوبهم، يحيطونها بنظراتهم المرتعدة، بعدما تلقوا ذلك الخبر الصادم بموته ثم اتجهوا إلى منزله على الفور، رفع عمار الغطاء عن وجهه ليودعوه فانهار شادي وتراخى جسده من هول الموقف حتى سقط مغشياً عليه، بينما تجمدت أنظار كل من مالك وأنس وعمار على ملامح وجهه التي يظهر عليها الهلع الشديد رغم عينيه نصف المغلقتين، أعاد عمار الغطاء على وجهه سريعاً، بينما انشغل أنس ومالك بحمل شادي والخروج به من الغرفة وسط بكاء ونواح الكثير من أهل زين المتواجدين في المنزل.

اقترب مالك من زياد أخو زين وسأله عما حدث له، فهم إلى الآن لا يعلمون سبب وفاته، استجمع زياد قوته وقال بصوته المتحشرج من فرط البكاء:

-"لا أحد يعلم! لم يكن على ما يرام بالأمس منذ عودته من الخارج، قال إنه كان معكم، ثم دخل إلى غرفته وبقي فيها عدة ساعات قبل أن نفاجأ به يخرج منها راكضاً بأنفاس متقطعة، سألناه ما الأمر؟ فلم يرد، جلس معنا لبعض الوقت وهو شارد الذهن ثم عاد إليها دون أن يتحدث بكلمة وبقي فيها حتى الصباح حينما دخلت أمي لتوقظه وجدته ملقى على الأرض شاحب الوجه"

أنصت مالك لحديثه بمزيج من الاهتمام والخوف، وانضم إليه كل من أنس وعمار لتنزل كلماته كالصاعقة على آذانهم، ثم تضاعفت دهشتهم حينما وجه زياد حديثه إلى عمار قائلاً:

-"أنت آخر من تحدث معه! كان هاتفه مغلق لنفاذ شحن البطارية، وعندما أعدت شحنه وبحثت في سجل المكالمات وجدت اتصال تم بينكما نحو الساعة الثانية عشر صباحاً استمرت لثمانية دقائق، تبعها عدد من المكالمات الغير مجاب عليها من أنس"

التفت كل من أنس ومالك إلى عمار يتطلعان فيه مدهوشَين، وذلك الأخير ينقل نظره بينهما في توتر قائلاً:

-"لماذا تحدقان في هكذا، كانت مكالمة عادية لم يخبرني عن أي شيء هام يستحق إخباركم به"

ثم استطرد محاولاً تغيير دفة الحديث للتهرب من نظراتهما المتشككة:

-"ثم كيف أكون أنا آخر من تحدث معه وأنت من أبلغه باجتماعنا اليوم؟!"

أجابه أنس في حنق واضح:

-"اتصلت به مراراً ولم يرد فأرسلت له رسالة صوتيه في الساعة الثانية والنصف صباحاً، لكنه أيضاً لم يرد ظننت أنه ربما نائم وسيتصل بي في الصباح، ولما لم أجد منه أية رد أو اتصال اتصلت به لكن هاتفه كان مغلق وأنت تعرف الباقي"

همس مالك في خفوت موجها حديثه إلى عمار:

-" ما الذي تخفيه عنا؟!"

ارتفع حاجبي عمار ولم يستطع مواراة ارتباكه، لكنه سرعان ما نجح في الفرار من الإجابة متعللاً بالمساعدة في حمل جثمان زين لاستكمال مراسم نقله ودفنه.

****

كان يوماً عصيباً لم يخطر ببال أحدهم أن يعيش مثله، صداقة جمعتهم واستمرت لسنوات لم يتوقعوا أن تنتهي تلك النهاية المؤلمة والغامضة على حد سواء، عاد كل منهم إلى منزله يعتصر الحزن قلبه، كانت المرة الأولى منذ سنواتٍ طوال التي يسمح فيها عمار لدموعه بالانسياب في حرية لتغرق وجهه وقد نجح في حبسها طوال اليوم، لكنه لم يعد يقو على فعل ذلك أكثر، خاصة حينما ترددت في أذنيه تلك المكالمة الأخيرة التي دارت بينه وبين زين.....

-"لماذا تتصل بي في مثل هذا الوقت يا زين؟"

أتاه صوته الخافت المرتعش:

-" لماذا فعلت بنا هذا؟ أنت السبب!"

-"لا أفهم ما الذي تعنيه؟"

أجابه زين بصوت يغلي من الغضب يجاهد لإبقائه منخفضاً حتى لا يسمعه أحد من أسرته:

-" ذلك الشيء حقيقياً! لقد رأيته بعيني، وسمعت فحيحه في أذني يقول "اذهب إلى هناك!"

-"ها أنت تهذي مجدداً، ألم يرسل لك "اللوكيشن"؟!"

قالها مستهزئاً قبل أن ينفجر ضاحكاً، ثم دار بينهما حوار استمر لخمسة دقائق إضافية قبل أن تنهيه صيحة زين، صيحة ألم ممزوجة بالفزع أعقبها حديث خافت لم يكن موجهاً إلى عمار الذي أنصت بكل جوارحه إلى صوت زين لعله يفهم شيئاً مما يقوله، سمع جلبة أعقبها هدوء لثواني قبل أن تخترق أذنه في وضوح كلمة واحدة نطق بها زين: "سأذهب!" بعدها ساد صمت مطبق، ظل عمار ممسكاً بالهاتف يضعه على أذنه في إصرار لعدة دقائق قبل أن ينادي على زين عدة مرات دون أية0 إجابة، شعر بالخوف يتسلل إلى قلبه فأنهى المكالمة، مرت نحو نصف الساعة ثم جاءته تلك المكالمة من أنس يخبره بضرورة اجتماعهم في منزله في الغد لأمرٍ ضروري، فانشغل بإعداد حجته التي سيصر عليها لإثبات أنه على حق.

****

عاد أنس إلى منزله يجر قدميه إلى غرفته ليلقي بجسده المنهك على سريره، أضاء مصباح الغرفة ليرتعد جسده في فزع حينما وجد لارا جالسة على الكرسي المجاور لمكتبه، صاح منفعلاً:

-"ما الذي تفعلينه في غرفتي؟ ولماذا تجلسين في الظلام هكذا؟"

التفتت نحوه ببطء قبل أن تجيبه:

-"كنت أنتظرك لماذا لم تأتِ؟"

انتفضت كل خليه في جسده وهو يحدق فيها، وقد شعر بأن كلامها يحمل معنى يحاول ألا يفهمه، تجمد في مكانه ولم يقو على الرد بحرفٍ واحد، قامت لارا من مكانها واقتربت منه وهي تبتسم ابتسامة أثارت الهلع في نفسه وتلك الرائحة الكريهة تغمر أنفه مع اقترابها، وقبل أن تخرج من الغرفة قالت في خفوت:

" ستذهب إلى هناك!"

بدا أنس وكأنه تمثال من الجبس، لم يحاول النظر إليها أو التحدث معها، ظل ثابتاً في مكانه حتى سمع صوت باب غرفتها يغلق، ثم القى بجسده على السرير وهو يدفن وجهه في وسادته محاولاً الهروب من التفكير في تلك المصيبة التي حطت على رؤوسهم ولا أحد يعلم كيف السبيل للخلاص منها؟!

****

دخل مالك إلى غرفته وكان أول ما فعله هو التحقق من وصول أية رسالة إليه من ذلك الحساب، تنهد في يأس حينما لم يجد شيئاً يذكر، مدد جسده على سريره وشرد في تلك الأحداث المفزعة التي باتوا يعيشونها منذ الأمس، وفجأة شعر بثقل يجثم على صدره، لا يقو على تحريك جسده أنفاسه تصل إلى رئتيه بصعوبةٍ بالغة وكأن أحداً يخنقه، ثم سمع صوتاً يتردد في أذنه قائلاً: "اذهب إلى هناك!"

نظر حوله في ارتياع ليجد نفسه في ردهة منزلٍ غريب بلا أبواب، ولا نوافذ، فقط جدران خشبية عالية محفور عليها الكثير من الحروف والكلمات والرموز التي لم يفهم منها شيئاً، ثم تجمدت أنظاره على ذلك السلم في الخلف وهو يرى شخصاً يهبط منه زاحفاً وسط بركة من الدماء المتفجرة من جسده لا يظهر مصدرها تحديداً، كان ينظر إلى مالك في توسل وصرخات متقطعة تخرج من حلقه و يده ممتدةٌ إليه أملاً في مساعدته، حاول مالك التحرك ناحيته فلم يستطع وكأن جسده مقيد بلا حبال، ثم ظهر ذلك الكائن على بعد أمتارٍ من السلم لتنطلق من حلق الشخص الزاحف فوقه صرخة ألم لم يسمع مالك لها مثيلٍ قط، قبل أن تنفجر رأسه!

ثم امتلأت الردهة بالأشخاص، منهم من يزحف ومنهم من يركض، الجميع يهربون في كل اتجاه، لكن لا مخرج من ذلك المكان! حياتهم تنتهي بالطريقة ذاتها، تنفجر رؤوسهم بشكلٍ بشع، ومالك يلتفت بنظره في كل اتجاه يتابع في هلع مشاهد النهاية المتماثلة للجميع، يعجز عقله عن التصديق ويرتجف قلبه خلف ضلوعه، يلاحقهم بأنظاره، متمنياً أن ينجو أحدهم أو يجد مخرجاً من هذا الجحيم، بلا جدوى ولا أملٍ في النجاة من ذلك المصير المفجع!

ثم اندفع الهواء إلى رئتيه دفعةً واحدة فجعل صدره يعلو ويهبط من سرعة التقاطه لأنفاسه وهو يجول بنظره في أرجاء غرفته ليعي حقيقة كونه لايزال بداخلها بالفعل ولا أثر لما رآه قبل قليل، وقف يدور حول نفسه عاجزاً عن التصديق، لقد كان ذلك

حقيقياً للغاية، ثم توقف عن الدوران بغتةً حينما وقعت عيناه على الإشعار الذي يضيء شاشة هاتفه معلناً وصول رسالة من رقم مجهول، انقبض قلبه خلف ضلوعه وقد أيقن أن ما ستحمله إليه تلك الرسالة لن يكون عادياً على الإطلاق!

الجزء الرابع

بيدٍ مرتجفة أمسك مالك بهاتفه وفتح الرسالة المرسلة إليه من ذلك الحساب الغامض، لتتسع عيناه من الدهشة، لم يكن فيها سوى رابط واحد، دون أي تعليق أو كلمة إضافية، فكر كثيراً قبل الضغط عليه فهو لا يعلم من المرسل وربما يكون "هكر" سيعمل على اختراق هاتفه وربما يرسل إليه بعض الفيروسات التي قد تدمره، ثم اتخذ قراره في النهاية بالضغط عليه أياً كانت العواقب، ما أن ضغط عليه حتى قام بتحميل ملف، انتظر بفارغ الصبر انقضاء تلك الدقيقة حتى انتهى التحميل ثم فتح الملف والذي كان عبارة عن كتاب صغير تم تصوير صفحاته، يظهر من هيئتها أنه قديم للغاية، التهم سطوره بعينيه وغرق في قراءته قرابة نصف الساعة، حتى انتهى منه وهو لا يفهم شيئاً!

فما قرأه ليس سوى قصة خيالية يشعر بأنها قد مرت عليه سابقاً لكن عقله مشوش بعد كل تلك الأحداث لا يتذكر تحديداً أين ومتى سبق له قراءتها، زفر في ضيق وخيبة الأمل تنال من أعصابه بعد أن ظن أن الرسالة من ذلك الحساب ستفسر له ما يحدث، قرر إعادة قراءتها ثانيةً بتأني، ثم لاحظ شيئاً في غاية الأهمية، الجزء الأول من القصة يشابه كثيراً بداية أحداث الفيلم الذي كان سبباً في كل ما يعانوه حتى الآن وكأنه مقتبس منه، ذلك الجزء يحكي عن سحرة من عصرٍ قديم استخدموا أقوى أنواع السحر الأسود لتحضير كائن شيطاني وجلبه إلى عالمنا ليحققوا بوجوده الكثير من المكاسب لكنه استطاع التحرر منهم و قتلهم جميعاً، في الجزء المتبقي من الفيلم ظهر البطل والذي كان ساحراً مبتدئاً أوقعه حظه العاثر في طريق ذلك الكائن، لكنه نجى من محاولات قتله له ونجح في القضاء على الكائن في نهاية الفيلم.

أما الجزء المتبقي من القصة في الكتاب فكانت أكثر تعقيداً بكثير، لدرجة أنه أعاد قراءتها نحو ثلاث مرات ليفهم ما جاء فيها، فرغم تحرر ذلك الكائن من السحرة إلا أنه أخطأ بقتلهم فقد ظل عالقاً في عالم البشر لا يستطيع العودة من حيث أتى، يعيث الفساد والقتل ويثير الفزع والرعب، في خضمِّ أحداثٍ غامضة لا يفهم أحد سببها، حتى اكتشف أمره عدد من السحرة في عصرٍ آخر وتمكنوا من حبسه في منزل وسط الصحراء، قيدوه داخله بألف سلسال بواسطة أسحارٍ شديدة، وغطوا جدران المنزل بالطلاسم ليخفوه عن أعين البشر فيظل حبيساً بين العالمين، لا يستطيع أحد الوصول إليه ولا يجد سبيلاً ليتحرر ثانيةً.

انتهت القصة عند ذلك الجزء، فقد مالك قدرته على تمالك أعصابه، وظل يصرخ في مزيج من الخوف والغضب والحيرة، ثم أمسك بهاتفه واتصل بذلك الرقم لكن لم يجب أحداً اتصاله، فقام بإرسال رسالة صوتيه إليه قال فيها:

-"قُتِل صديقي بالأمس، أحد الذين شاهدوا الفيلم، وظهر ذلك الكائن لاثنين آخرين ولي أنا أيضاً، وجدت نفسي في منزل غريب ورأيت أشخاصاً تنفجر أدمغتهم بداخله، وفتاة صغيرة شاهدت معنا الفيلم ولا تبدو طبيعية مطلقاً منذ ذلك الحين حتى أن أخوها سمعها تتحدث بصوت غريب قائلةً:" اذهب إلى هناك**!**" نفس العبارة تكررت وسمعها معظمنا ممن ظهر لهم ذلك الكائن، وأنا قرأت الكتاب الذي أرسلته لي ولم أفهم شيئاً، أرجوك أن تتحدث معي فالأمر طارئ ولا يحتمل التأخير، نحتاج لوقف ذلك الجنون قبل أن نفقد أحداً آخر، سأنتظر اتصالك في أقرب وقت**!**"

****

وقف أنس متردداً على باب غرفة لارا قبل أن يستجمع قوته ويطرقه في هدوء، لم يسمع جواباً لكنه على الرغم من ذلك فتحه ببطء يجول بعينيه في أرجاء الغرفة، فوجدها تجلس على مكتبها منكبة فوق ورقة ترسم بسرعة لافتة للنظر، ارتفع حاجبيه في دهشة فلم يعتد رؤيتها ترسم ولم يصادفه من قبل اهتمامها بالرسم من الأساس، اقترب منها في حذر وهو يسألها برفق:

-"ماذا ترسمين يا لارا؟"

التفتت نحوه وهي تبتسم في رقة مجيبةً:

-"أرسم ما رأيته في الحلم"

سرت قشعريرة باردة في جسده وهو ينظر إلى الرسمة في الورقة لتتجمد الدماء في عروقه وهو يرى مكان تفترش أرضه جثثاً مقطوعة الرأس يتوسطها جسم طويل مكبل بالكثير من السلاسل بعضها مقطوعة**!**

ربت على كتفها في حنو قائلاً:

-"لارا هل أنت بخير؟ أخبريني بماذا تشعرين وإن كان هناك ما يخيفك لا تترددي في إخباري بكل شيء أعدك بأنني سأبذل ما في وسعي لمساعدتك مهما كان الثمن**!**"

ارتفع حاجبيها في دهشه وجاء صوتها حائراً:

-"لماذا تقول ذلك؟ أنا بخير وليس هناك ما يخيفني!"

نظر إليها بارتياب يقول بصوتٍ مرتجف:

-"وهل من الطبيعي أن ترسمي جثثاً مقطوعة الرأس؟!"

اتسعت عيناها في ذعر ونظرت إلى الورقة وكأنها تراها للمرة الأولى فارتجف جسدها وسقط القلم من يدها وتلاحقت أنفاسها، ثم نظرت إلى أنس في توسل صائحةً:

-"لا تتركه يأخذني إلى هناك!"

ركض أنس نحوها ليحتضنها في محاولةٍ منه لتهدئتها رغم الخوف الذي ينقر جوفه، لكنها دفعته بكلتا يديها بقوةٍ عجيبة ليرتطم جسده بالجدار ويشعر بعظامه تنسحق من أثر الارتطام وهو يحدق فيها مذهولاً، ثم شعر بقلبه يختلج خلف ضلوعه حينما رآها تنظر إليه بتلك العينين المشقوقتين، وهي تقول بصوتٍ أجش أثار الهلع في نفسه:

-"إما أن تذهب أنت أو هي الاختيار لك!"

أنهت عبارتها وتوقفت مكانها وهي ترفع رأسها للأعلى محدقةً في سقف الغرفة لثواني ثم انطلقت من حلقها صرخة مروعة قبل أن تسقط أرضاً.

****

بكى شادي كثيراً، بكى على ما حدث لزين وبكى على ما سيحدث له، ضباب يجتاح عقله وخوف يعتصر قلبه، لن يتحمل كل ذلك القدر من الخوف، يوقن بأن قلبه سيتوقف في المرة التالية التي يظهر له فيها ذلك الكائن، زفرةٌ حارة غادرت صدره المعتل وهو يفكر ماذا سيفعل حينها؟ هل يستسلم له ويذهب إلى حيث يريده أن يذهب؟ ولا شك أنه سيقتله إن فعل، أم يرفض الذهاب؟

انعقد حاجبيه حينما وصل عقله إلى تلك النقطة، هل حقاً بإمكانه أن يرفض الذهاب؟ بل والسؤال الأهم هو كيف سيذهب من الأساس؟ وإلى أين؟ شعر بالصداع يكاد يفتك برأسه، لو ظل يحدث نفسه على هذا النحو فسيجن في النهاية لا محالة، يجب أن يتحدث مع أحد، أمسك بهاتفه واتصل بعمار أجابه ذلك الأخير في ضيق، فطرح

عليه شادي أسئلته التي تؤرقه، صمت عمار طويلاً ثم اعترف في النهاية بعجزه عن الإجابة، لم يكن ذلك سهلاً عليه مطلقاً، بل وربما تكون هي المرة الأولى التي يفعلها فيها، لكن الوضع هذه المرة يفوق قدرته على التصرف أو حتى الفهم، على الرغم من ذلك رفض كبرياءه الاستسلام فقال في ثقةٍ مصطنعة:

-"ربما لو شاهدنا ذلك الفيلم ثانيةً نصل إلى شيء ذو فائدة"

تهللت أسارير شادي وقال بانفعال:

-"فلنفعل ذلك إذاً! سأخبر أنس ومالك ولنلتقي في صباح الغد"

تردد عمار قليلاً وهو يجيبه:

-"لا أفضل ذلك! دعنا نشاهده أنا وأنت فقط أولاً ثم نخبرهم بما سنصل إليه من نتائج لاحقاً"

لم يفهم شادي الغرض من طلبه لكنه اعتاد الموافقة على مطالب عمار كعادته.

****

رن هاتف مالك كثيراً قبل أن يفتح عينيه في صعوبة بالغة، نظر إلى الساعة ليجدها التاسعة صباحاً، واسم أنس يتوسط شاشة الهاتف، رد متثاقلاً بالكاد يغادر صوته حلقه، ثم تنبهت حواسه دفعة واحدة وانتفض واقفاً وهو يشعر بالدماء تحتقن في رأسه حتى كاد ينفجر حينما رنّ صوت أنس في أذنيه منهاراً يبكي بحرقة وهو يخبره بأن شادي قد لحق بزين!

هدر مالك بأعلى صوته:

-"ماذا تقول؟ مات شادي!"

ثم انفجر باكياً وهو يضرب بكلتا يديه على رأسه بعد أن أغلق المكالمة وألقى بالهاتف على السرير في ذعر، لكنه ما لبث أن سمع الهاتف يرن مجدداً، ارتجف جسده وعقله يتساءل: "ترى من مات هذه المرة؟"

لكن الرقم الذي أضاء الشاشة لم يكن رقم أنس، بل كان ذلك الرقم المجهول، أجاب على الفور فجاءه صوت رصين يتحدث في خفوت قائلاً:

-"طلبت أن أحدثك وها أنا ذا أفعل ما طلبت"

اتسعت عينا مالك وقد عرف أن المتحدث هو صاحب الحساب المجهول، قال في لوعة:

-"لكنك تأخرت كثيراً مات واحد آخر من أصدقائي"

أجابه في هدوء لا يتناسب نهائياً مع حالة الانهيار الي يعانيها مالك:

-"كان ذلك سيحدث لا محاله لكنه ليس ذنبي! هناك من يدفعهم للذهاب لا يفترض أن تسير الأمور بتلك السرعة"

غضن مالك جبينه في عدم فهم وهو يقول في يأس:

-"أنا لا أفهم أي شيء ما الذي تعنيه؟"

استرسل ذلك الشخص يخبره بأغرب شيء قد سمعته أذناه يوماً!

الجزء الخامس

"ما قرأته في الكتاب حقيقياً وليس خيالياً كما تظن! لكنه مجرد بداية الحكاية أو ربما نهايتها في زمن كتابته، هناك بقية لم ترد فيه ولا يعلمها إلا القليلون، أما النهاية فلم تكتب بعد!"

لم يتحمل عقل مالك المجهد المزيد من الألغاز، فثار منفعلاً وهو يحدث الشخص صاحب الحساب المجهول قائلاً:

-"اسمع يا هذا أياً كان اسمك! أنا لست بحاجة للمزيد من الأحاجي أريد أن أفهم وحسب، أخبرني بكل ما تعرفه الآن وبوضوح!"

لم ترق نبرته الآمرة لصاحب الحساب كثيراً، فقال في صرامة:

-"أولاً اسمي زاهر! ثانياً كل ما تعانيه لا يذكر إذا ما قورن بما عانيته أنا، ثالثاً أنا لم أكن أرغب في الحديث مطلقاً مع أي أحد، كان دوري يقتصر على تحذير الناس، ولم أشأ الدخول في تفاصيل ما يصيبكم بعدها، وبالرغم من ذلك اتصلت بك بناء على طلبك ولمساعدتك فتأدب في الحديث معي!"

شعر مالك بالخجل من نفسه فاعتذر وهو يتوسل له أن يتابع حديثه، تنهد زاهر في ضيق لكنه تفهم انفعاله واستطرد قائلاً:

-"كما قرأت في الكتاب نجح بعض السحرة في تقييد ذلك الكائن والتخلص من شروره لفترةٍ طويلة، لكن هناك من أراد تحريره ظناً منه أنه سيكون أحسن حظاً من سابقيه ويستطيع السيطرة عليه، ثم بحث عن وسيلة لتحريره حتى عرف أن الوسيلة الوحيدة لذلك هو انقطاع الألف سلسال التي تقيده، ونظراً لتلك الطلاسم التي تغطي جدران المنزل المقيد بداخله، فلا سبيل للوصول إليه، بحث الساحر الذي يسعى لتحريره عن التعويذة الأصلية التي استحضره بها السحرة الأوائل، حتى عثر عليها، ولما تلا تلك التعويذة نجح في فتح نافذة للتواصل معه، وأخبره ذلك الكائن بوسيلة تمكنه من قطع السلاسل دون الحاجة للوصول إلى المنزل، وبعد قطعها كلها سيتمكن هو من الخروج بطريقته وسيصبح خادمه"

ازدرد مالك ريقه في ارتباك واضح وهو يتحرق شوقاً لمعرفة تلك الطريقة، تغيرت نبرة صوت زاهر ليكسوها الحزن وهو يسترسل قائلاً:

-"الطريقة هي استدراج 1000 شخص ليفتك بهم الكائن، ومع نجاحه في قتل كل واحد منهم ستنقطع إحدى السلاسل!

يبدأ استدراجهم بسماع تعويذة استحضاره، فتُفتح تلك النافذة التي تُمكنه من التواصل معهم، ولذلك فكر الساحر في عمل ذلك الفيلم القصير الذي تُتلى فيه التعويذة فيجبر ضحاياه على سماعها، وبعدها يحدث ما حدث معك ومع رفاقك، يظهر لكم الكائن ليخيفكم وترون أنفسكم في ذلك المنزل، لكن ذلك لا يعني ذهابكم إلى هناك فعلياً، هو مجرد تواجد مؤقت، يبقى الجزء الأهم ليتم ذهابكم إليه، ألا وهو القبول والإذعان له ويحدث ذلك غالباً بعد أن تتلف أعصاب الضحية ويعجز عن الخلاص من جحيم الرعب الذي يعيش فيه بسبب ظهور الكائن المتكرر له واختراق عقله حتى ينجح في تدمير أعصابه ويفقد القدرة على التمييز بين الحقيقة والوهم فيستسلم له في نهاية الأمر"

قاطعه مالك مشككاً في صدق حديثه:

-"ومن أنت لتعرف كل تلك التفاصيل؟"

أجابه زاهر في حسرة:

-" الساحر الذي صنع الفيلم وفعل كل ذلك من أجله كان والدي! استعان بأحد المتخصصين ليحصل على فيلم مغمور يتشابه معه في الأحداث إلى حدٍ ما، ثم قام بإضافة مشهد التعويذة الأصلية بداخله، لكن ذلك الكائن ما أن اطمأن لإيجاد طريقه للتحرر وتمكن بالفعل من قطع عدة سلاسل، تأكد بأنه لم يعد بحاجة إلى والدي، فنجح في النيل منه وقتله!

ومنذ ذلك الحين وأنا أحاول تحذير الناس من مشاهدة الفيلم وأحاول حذفه من كل مكان وُجد فيه، ظننت أنني قد نجحت في ذلك، لكن الأمور لا تسير على ما يرام، فعدد السلاسل المتبقية لتحريره أصبح يُعد على أصابع اليد الواحدة، لم يكن يحتاج لأكثر من عرضه عليك أنت ورفاقك لتبدأ المرحلة الأخيرة في تحرره، وكما قلت أنت نجح في استدراج اثنين من رفاقك، لم يتبق الكثير ليعود حراً يفعل بالبشر ما يريد!"

-"وكيف عرفت عدد ما تبقى من السلاسل؟" قالها مالك بانفعال، ليأتيه صوت زاهر مهموماً:

-"أستطيع رؤيتها! أنا أحد ضحاياه الذين لم يستسلموا بعد! فقد أخبرني والدي بكل شيء قبيل وفاته، كان يشعر بالندم في قرارة نفسه ويعلم بأنه لن يتركه حياً لوقتٍ طويل، طلب مني محو ذلك الفيديو تماماً، وحذرني من مغبة تلاوة أو سماع تلك التعويذة، حاولت جاهداً السيطرة على نشر الفيديو والذي كان انتشاره حينها محدوداً للغاية بالفعل، حتى ظننت أنني نجحت في إلغائه كلياً، وبعد مقتل والدي دفعتني الرغبة في الانتقام لمواجهة ذلك الكائن وقتله بنفسي، فقرأت تعويذة استحضاره ظناً مني أنني أستطيع الانتصار عليه، لكنه أقوى بكثير مما ظننت أذاقني الويلات، فأصبح يلاحقني ويظهر لي في كل مكان ويثير في نفسي الهلع، حتى ابتعد عني جميع من أعرفهم وخسرت عملي ظناً منهم أنني مجنون أو ملبوس وفي كلتا الحالتين لا أحد يرغب في وجودي، فأصبحت وحيداً وقررت تسخير ما تبقى من حياتي لمحاربته، والشيء الوحيد الذي نجحت في فعله حتى الآن هو عدم الاستسلام له!"

ثم صمت لثواني قبل أن يتابع:

-"مر على ذلك شهور طوال، لكن شيء ما لا أفهمه حتى الآن قد قلب الموازين رأساً على عقب، بدأت تنتشر على مواقع التواصل أخبار عن ذلك الفيلم فجأة، ورأيت السلاسل المقيدة له تنقطع بوتيرة غير مسبوقة، الغريب في الأمر أن كل تلك الأخبار كانت مقالات فقط بلا مصدر واحد حقيقي للفيلم! بحثت عنه كثيراً فلم أعثر له على أثر، مجرد مقالات بغرض جذب المشاهدات ورفع معدل التفاعل لا أكثر، ولا أفهم حتى الآن كيف حدث انقطاع كل تلك السلاسل، كيف يشاهدون الفيلم ومن أين يحصلون عليه؟"

استغرق مالك في التفكير محاولاً استيعاب ما سمعه للتو، قبل أن ينتبه لنقطة مهمة فسأله متعجلاً:

-" أنت قلت أن هناك من دفع زين وشادي للذهاب سريعاً، ما الذي تعنيه وكيف يكون ذلك؟"

ملأ زاهر رئتيه بالهواء وهو يجيبه في حيرة:

-" حقيقةً لا أعرف بالتحديد! لكن ما أتوقعه أن هناك شخص خدعهم ودفعهم للاستسلام له بتلك السرعة، فالأمر ليس بسيطاً وقد يستغرق أسابيع أو حتى شهور ليصل إلى نقطة الاستسلام التام! شيء ما غير طبيعي يحدث أنا واثق من ذلك"

داهمت عبارته الأخيرة عقل مالك فتذكر حديث زياد أخو زين عن مكالمته الأخيرة مع عمار، وتذكر أيضاً أن عمار هو من أحضر لهم ذلك الفيلم، ولم يعرف أحدهم كيف حصل عليه؟

لكن تجاهل تلك الفكرة مؤقتاً وسأله في جدية بالغة:

-"ألا توجد طريقة لإغلاق تلك النافذة التي تفتحها التعويذة؟!"

تردد قليلاً قبل أن يجيبه:

-" حاولت كثيراً أن أصل إلى إجابة هذا السؤال لأخلص نفسي مما أنا فيه، فلم أصل لجوابٍ حتى الآن، لكن..."

ثم بتر عبارته وكأنه لا يريد الاسترسال في الحديث، لكن مالك الذي تغلي مراجله لم يسمح له بالتراجع فانفجر فيه صائحاً:

-"أكمل! لكن ماذا!"

تابع زاهر حديثه على مضض:

-" أثناء بحثي عن وسيلة لإيقافه وإغلاق نافذته إلينا، قرأت شيئاً أثار انتباهي، الأطفال! تفاعلهم مع تلك الكائنات يختلف عنا، لذلك مثلاً يستخدمون الأطفال في فتح المندل، فقد قرأت أنه على الرغم من قوة تلك الكائنات الشيطانية إلا أنهم يخشون اختراق الأطفال لعالمهم، ذلك يضعفهم على نحوٍ يحذرونه كثيراً!"

حكى له مالك ما أخبره به أنس عن لارا وما يحدث لها، فكان رده:

-" هذا يثبت صحة كلامي، لو كان بمقدوره السيطرة عليها لكانت أول من مات من أصدقائك"

بدا كلامه منطقياً للغاية، لكنه أجابه قائلاً:

-" لكن أنس قال بأن عينيها تتحول لشكل عيني ذلك الكائن، وكذلك يتغير صوتها"

قاطعه زاهر:

-"ربما بمقدوره استخدامها كوسيط للحديث أما ما يراه صديقك في ملامح وجهها ليس حقيقي! ذلك جزء من الجحيم الذي يفتحه على ضحاياه ليتلف عقولهم، هو يتلاعب بأعصاب أنس ويستخدم أخته كورقة ضغط عليه حتى يعجل بإذعانه له ومن ثم قتله"

زفر مالك في ضيق قبل أن يسأله:

-" أفهم من حديثك أن ذهاب لارا إلى هناك قد يحدث فارقاً؟"

فكر زاهر قليلاً قبل أن يجيبه:

-"هناك حقيقتين يجب أن نضعهما نصب أعيننا ونحن نفكر في هذا الأمر، الأولى أنه لن يسمح بأي حال من الأحوال بذهابها إليه، والحقيقة الثانية أن سماع تلك الطفلة لتعويذة استحضاره قد فتحت بينها وبينه نافذة رغماً عنه، ولا سبيل لإغلاقها إلا بذهابها وهو لن يفعل، فلا شك أن ذلك يربكه على نحوٍ ما، سأبحث أكثر حول تلك النقطة فلربما استطعنا استغلالها لصالحنا، أما ما يتوجب عليك فعله الآن هو منع باقي رفاقك من الاستسلام له حتى نصل إلى شيء ذو فائدة"

****

اجتمع كل من أنس ومالك وعمار في جنازة شادي، وحالة من الصمت المطبق تخيم على ثلاثتهم، كل منهم غارق في أفكاره، ومالك يرمق عمار بنظراته المتشككة بين الحين والآخر ينتظر الفرصة ليفصح عما بداخله، أما أنس فكل ما يشغل تفكيره هو خوفه على لارا وخشيته من أن تلقى نفس مصير زين وشادي فلم يعد هناك شك بأن ما أصابهما يعود للسبب ذاته، فاتخذ قراره بأن يستجيب لذلك الكائن ويذهب بدلاً عنها لن ينتظر حتى يراها جثة هامدة، أما عمار فقد تبدل حاله على نحوٍ لافت، يظهر على ملامح وجهه الضعف الممزوج بالتوتر الملحوظ، لم يستطع مالك التحكم في أعصابه أكثر فطرح سؤاله كسهم انطلق بسرعة البرق ليصيب قلب عمار فيفطره:

-"كيف حصلت على ذلك الفيلم؟"

نطق بها مالك وعينيه تطلقان اتهامات واضحة لم يستطع عمار تحملها فصرخ في ذعرٍ صائحاً بآخر عبارة توقع مالك سماعها:

-"سامحوني! كان عليَّ طاعته لأخلص نفسي!"

الجزء السادس

فغر أنس فاه في ذهول مع تلك العبارة التي نطق بها عمار للتو:

-"سامحوني! كان عليَّ طاعته لأخلص نفسي!"

سأله في عدم فهم:

-"طاعة من؟ ماذا تعني؟"

كانت العبارة صادمة وغير متوقعة بالنسبة لمالك فقال بصوتٍ ذاهل:

-"فعلت بنا كل ذلك عن قصد؟!"

دفن عمار وجهه بين راحتيه وانخرط في وصلة بكاء لم تصدقها أعين كل من أنس ومالك، ثم قال بصوت متهدج:

-" لم أكن أفهم ما يحدث لي، كنت أحاول تخليص نفسي!"

لم يجدا ما يردان به على حديثه، ولم يكن هو في انتظار ردهما من الأساس، استطرد حديثه قائلاً:

-"منذ بدأ جدالنا حول ذلك الفيلم وأنا قد شرعت في رحلة البحث عنه باستماته، لأثبت خطأ مالك، لكني لم أعثر له على أثر، كلما فتحت موقعاً يدعي توفره عليه أفاجأ بأنه غير متوفر، فقط عناوين كاذبة ومحتوى لأفلامٍ أخرى، حتى انفعلت في إحدى المرات وكتبت تعليقاً أسب فيه أحد المواقع لكذبه، ففوجئت بشخص يرد على تعليقي ويخبرني بأنه يملك الفيلم الحقيقي ويمكنه إرساله إليّ مقابل مبلغ ليس بالقليل، تهللت أساريري رغم شكي في كونه مجرد محتال سيقوم بأخذ المال وخداعي، فاقترحت عليه تحويل نصف المبلغ مقدماً والنصف الآخر بعد التأكد من صحة حديثه، فوافق وأرسله لي بالفعل، لم أكترث لدفع كل ذلك المبلغ مقابل الحصول عليه والانتصار على مالك، وبالطبع ما أن استقبلته حتى شاهدته بالكامل، بعدها بدأ ذلك الكائن بالظهور لي، كان الأمر يفوق توقعاتي بكثير، ندمت على فعلتي وأدركت أنني قد أوقعت نفسي في ورطةٍ كبيرة، شعرت بالحقد عليكم كوني أنا فقط من أصبحت أعاني من تلك الكارثة خاصةً مالك الذي تخيلت كثيراً شماتته حينما يعرف بما أصابني لكونه كان محقاً"

قاطعه مالك بانفعال جارف قائلاً:

-"غبي! لو كنت أخبرتني كنت سأبذل ما في وسعي لمساعدتك وليس للشماتة فيما أصابك، أوقعتنا جميعاً في قبضته بحقدك"

لم يكد مالك ينهي عبارته حتى انهال أنس على وجه عمار بقبضته يسدد له اللكمة تلو الأخرى وهو يصيح في جنون:

-"تسببت في موت زين وشادي وحان دوري إما أنا أو أختي! لستَ سوى حقير أناني"

قاطعه مالك في صرامة وهو يثبت عينيه على وجه عمار متجاهلاً خيط الدماء الذي يسيل على جانب فمه من لكمات أنس:

-" هو لم يتسبب في موتهما فحسب، بل قتلهما عن قصد، للحكاية بقية لم يخبرنا بها بعد!"

اتسعت عينا عمار عن آخرهما وهو يحدق في مالك ذاهلاً، يقول بصوتٍ مرتجف:

-"كيف عرفت؟"

لم يقو عقل أنس على استيعاب ما يدور أمامه من حديث، فانطلقت من حلقه شهقة فزع وظل صامتاً يجول بنظره بينهما في انتظار تفسير ما يقولانه، شرع مالك في الحديث وهو يقترب من عمار بخطواتٍ سريعة ارتجف لها جسد ذلك الأخير، في مشهد تتبادل فيه الأدوار على نحوٍ لم تصدقه عينا أنس، تراجع عمار إلى الوراء وقد انهارت تماماً تلك الصورة الفولاذية التي رسمها لنفسه على مدار سنوات أمام النيران المشتعلة التي تتأجج في عيني مالك، وهو يمسك بتلابيبه ليجبره على الحديث صائحاً:

-" أخبرني لماذا دفعتهما للاستسلام بتلك السرعة؟!"

ارتعشت شفتاه وهو يجيبه بصوت مختنق:

-" لو كنت مكاني لفعلت الشيء ذاته، لقد دمر أعصابي وزرع الخوف في كل خليةٍ في جسدي، ثم أعطاني المفتاح للخلاص حياة مقابل أربعة، فأصبحت حياتي مقابل حياتكم أنتم الأربعة!"

رفض عقل مالك التصديق للوهلة الأولى لا يعقل أن تصل حقارة عمار إلى ذلك الحد، ثم انتبه من شروده إلى صوت عمار يتابع حديثه الجنوني:

-" عندما حدثني زين في تلك الليلة أخبرته بأنه قد ظهر لي أيضاً، وأنه لا خيار أمامنا سوى الاستسلام والذهاب إلى حيث يريدنا، أقنعته بأن لدي خطة سنستسلم له كلانا ونذهب إلى حيث يريد وهناك سنتعاون للقضاء عليه، كنت أتمنى أن يجد وسيلة للانتصار عليه وتخليصنا منه، و أقسم أنني حينما علمته بموته تمزق قلبي وفكرت في الاستسلام له لأكفر عن ذنبي لكن حب الحياة غريزة لم أستطع مقاومتها، ثم أتت مكالمة شادي في تلك الليلة وتساؤله عن إمكانية رفض الذهاب معه ونيته للاجتماع بكم واخباركم بالأمر ذاته، فخشيت أن ينجح في مراده وحينها قد ينتقم مني ذلك الكائن لفشلي في تحقيق مطلبه شر انتقام، هو هددني بذلك مراراً، فاضطررت إلى لقائه وحدنا ومع ظهور الكائن لنا وحالة الهلع التي انتابته، اقنعته بما أقنعت به زين سنذهب سويةً ونتخلص منه هناك، وبعدما أذعن له انتفض جسده وسقط فحملته إلى المستشفى لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة، بعد أن أصابته نوبة قلبية حادة بحسب تقرير الطبيب "

انسابت دموع مالك على وجنتيه ودفعه أرضاً وهو يقول بصوتٍ منهك:

-"غبي لن يتركك وشأنك، أراد استغلالك لتوقع بهما فقط ولن يتردد في القضاء عليك وفك قيد سلاسله المتبقية ليتحرر"

أثار حديثه عن السلاسل انتباه أنس فأخبره في دهشة عن رسمة لارا وهو يتساءل عن معنى تلك السلاسل وكيف عرف بها؟!

أخذ مالك نفساً عميقاً وجعل يقصُّ عليهما كل ما أخبره به زاهر.

****

جُنَّ جنون أنس وصاح منفعلاً:

-" لن أخاطر بسلامة لارا مهما كان الثمن، لا تهمني تلك القصص وإن أراد حياتي مقابل حياتها فليكن إذن!"

انتفض عمار واقفاً وهو يخاطبه في توسل:

-" حياتك لن تنهي الأمر كما تظن، ستظل تحت رحمته طالما تلك النافذة مفتوحة بينهما، عليك التفكير بموضوعية ربما تكون هي مفتاح الخلاص"

أجابه أنس بصفعةٍ على وجهه، وهو يقول منفعلاً:

-" أناني لا تفكر سوى بمصلحتك فقط، لا تكترث لحياتها ولا لحياة أياً منا"

فضل مالك التزام الصمت فهو يتفهم انفعال أنس، ويعلم أنه بحاجةٍ إلى المزيد من الوقت ليهضم تلك الفكرة، في الوقت ذاته يكون زاهر قد وصل إلى خطواتٍ فعلية لتنفيذها، حينها سيحاول إقناعه، انتظر حتى هدأ أنس قليلاً ثم قال في تعاطف:

-"أياً كان ما سيحدث في الأيام القادمة حاول الهدوء والتصرف بحكمة رغم صعوبة الموقف عليك أنت تحديداً، لكن المهم حذارِ أن تستسلم له مهما رأيت وحاول تمييز الحقيقة من الوهم حتى لا يتمكن من خداعك!"

****

لم تكن ليلة عادية على ثلاثتهم، كل واحد منهم ينهشه الخوف ويرهقه التفكير فيما ينتظره، مالك لا يكف عن النظر إلى شاشة هاتفه كل بضعة دقائق في انتظار اتصال زاهر الذي تأخر أكثر من اللازم، الوقت لا يحتمل كل ذلك التأخير، لكن شيء ما أثار انتباهه وشغل تفكيره، ماذا لوكان ذلك الكائن يراقبه قد يستمع إلى ما سيخبره زاهر به، وربما تسبب ذلك في اخذ احتياطه أو إيذاء لارا، انتفض جسده حينما اخترقت رنة الهاتف أذنيه، تهللت أساريره حينما شاهد اسم زاهر فسارع بالرد عليه، ثم بادره قائلاً:

-" هل وصلت إلى شيء؟"

جاء رد زاهر متأخراً بعض الشيء قبل أن يجيب:

-"هناك وسيلة واحدة لكنها ستكون مؤذية للفتاة"
تقلص وجه مالك من فرط الضيق وهو يسأله:

-"ألا يوجد حل آخر"

-"للأسف هو الحل الوحيد الذي توصلت إليه"

ثم هم بمواصلة الحديث لكن مالك قاطعه بقوله:

-" انتظر لا تقل شيئاً! ماذا لو كان يسمعنا الآن وسيعرف ما ننوي فعله!"

جاءه رد زاهر مطمئناً:

-"لا تسير الأمور على ذلك النحو يا مالك، فحينما تُفتح تلك النافذة بينكما ستشعر بوجوده، أما غير ذلك فكل منكما في عالمه المنفصل إلى أن تذعن له وتذهب إلى عالمه حينها لن يمكنك العودة"

سأله مالك في حيرة:

-"ولكن كيف يذهب ضحاياه إلى هناك وتنفجر رؤوسهم بينما نجد أجسادهم على حالها كما حدث مع زين وشادي؟"

- "لأن ذهابهم إلى هناك ليس فعلياً بأجسادهم وإنما يتم على نحوٍ ما من داخل عقولهم، ذلك الكائن غير مادي هو يُسقط صورة مفهومة في عقول ضحاياه ليتمكنوا من رؤية ما يريده، ولذلك فالهيئة التي نراه عليها تقارب كثيراً التي ظهرت في الفيلم لا يعني ذلك أنها هيئته الحقيقية وإنما الصورة التي أراد لعقولنا رؤيته بها!

هو يأخذ ضحاياه إلى هناك فتتوقف أجسادهم عن الحركة إذا ما رآها أحد بجوارهم لظن أنهم نيام، عدا ما يشعرون به بداخلهم وبعض التعبيرات على وجوههم وكأنهم يعانون كوابيساً مفزعة لا يستطيعون الاستيقاظ منها، بينما في حقيقة الأمر هم محبوسون مع الكائن في ذلك المنزل الخفي إلى أن يفجر رؤوسهم فتنتهي حياتهم الفعلية في المقابل "

بدا حديث زاهر متشابكاً أكثر من اللازم، مما جعل مالك يسقط في بئر سحيقة من الصمت، حتى أعاده زاهر بقوله:

-" دعني أخبرك بما توصلت إليه لمواجهته والقضاء عليه، كما قلت لك بالأمس هو لن يسمح للطفلة لارا بالذهاب إليه أبداً كما يفعل مع الآخرين، لكننا يمكن أن نمرر من خلالها خادم من الجن ليقتله!"

ارتفع حاجبي مالك في دهشة وكاد أن يسأله إلا أنه لم يكن في حاجة للسؤال فقد تابع حديثه قائلاً:

-" الأمر معقد بعض الشيء، الطفلة هي الوحيدة التي يمكننا تمرير الخادم من خلالها إليه دون معرفته، لذلك عليك الانتباه إلى ما سأقوله جيداً، يجب أن أقابل الطفلة وأربط الخادم بها ومن ثم حينما تفتح النافذة بينهما يعبر الخادم إليه وينال منه، لكن يجب ألا يعرف أخوها شيئاً عما أخبرتك به لأنه حتماً سيرفض ويضيع علينا فرصة القضاء عليه هباءً!"

لكنه ما أن أنهى عبارته الأخيرة، حتى شعر مالك بأنه لا يقو على التنفس قبل أن يتبدل المكان من حوله ليجد نفسه أمام ذلك الكائن الذي لم يعد يقيده سوى سلسال واحد فقط!

الجزء السابع

"الوقت يمضي سريعاً وإذا انقطع السلسال المتبقي لن يمنعني شيء من اقتلاع رأسك من مكانها، لكن هذه المرة سيراها الجميع دون أن يفهم أحد كيف حدث ذلك؟!

لأصدقك القول لن تكون الوحيد الذي ستنتهي حياته على ذلك النحو، فالكثيرون سيقضون نحبهم بالطريقة ذاتها، لكن هناك فرصة أخيرة لك للنجاة من ذلك المصير البائس، أن تقنع أحداً غيرك بالاستسلام"

احتقنت الدماء في عروق مالك الملقى أرضاً حتى شعر أن رأسه ستنفجر بالفعل من فرط الغضب، فهمَّ بالوقوف لكنه ما لبث أن انتفض جسده في هلع حينما رأى زين يزحف مبتعداً عن ذلك الكائن، وشادي يركض في الاتجاه الآخر وصرخات الذعر تزلزل كيانه، لا يبدو عليهما أنها يريان بعضهما، ثم انفجرت رأس زين في مشهد أفقد مالك قدرته على الحراك، وتناثرت دماؤه على وجهه قبل ثواني من حدوث الأمر ذاته مع شادي، كان منظرهما بشع إلى درجة لم يقو عقل مالك على تحملها، فشهق شهقة عالية وهو يتلفت حوله محاولاً التقاط أنفاسه يجول بنظره في جميع الاتجاهات ليتأكد من كونه لا يزال في غرفته، وعبارة عمار ترن في أذنيه:

-"لو كنت مكاني لفعلت الأمر ذاته" تصاحبها فكرة شيطانية تحتل عقله!

****

ظل مالك يراقب عن بعد منزل أنس وبرفقته زاهر، انتظرا حتى تأكدا من مغادرة أنس للعمارة ثم تسللا إلى الداخل، طلب مالك من زاهر أن ينتظره في الأسفل وصعد هو إلى شقة أنس، رن الجرس ففتحت لارا الباب، تظاهر مالك بالسؤال على أنس فأخبرته بأنه قد غادر ليشتري بعض الأغراض ولن يتأخر، فأخبرها بانه سينتظره في شقة البواب حتى عودته، وسألها إن كان بمقدورها إحضار مفتاحها، فلمعت عيناها في مكر وهي تهز برأسها إيجاباً، ثم غابت عنه لدقائق وعادت وبيدها المفتاح، طلب منها أنس أن تنزل معه لتفتح الباب ثم تصعد بالمفتاح ثانيةً لتعيده إلى مكانه سريعاً، لم تعترض على حديثه، ورافقته إلى الأسفل، ابتسم زاهر حينما رآها بينما رمقته هي بنظرة تحمل مزيجاً من الدهشة وعدم الارتياح وهي تلتفت إلى مالك متسائلة: "من هذا؟" أجابها في ودٍّ مصطنع:

-"إنه صديق قديم كان مسافراً وعاد حديثاً من سفره، وجاء ليسلم على أنس، إياكِ أن تخبريه عند عودته وتفسدي المفاجأة، انتظري حتى أفاجئه أنا أولاً"

أومأت برأسها في حماس وقد راقت لها اللعبة، ثم طلبت منه أن تختبئ في المطبخ كعادتها لتشاهد مفاجأة أنس، تبادل مالك مع زاهر نظرةً ذات مغزى، فأومأ ذلك الأخير برأسه في إشارة عن رضاه عما يحدث، دخل ثلاثتهم إلى الشقة، ثم قام مالك بالطلب من لارا بالجلوس على الكرسي، تعجبت قليلاً ثم فعلت ما طلبه منها، تسارعت ضربات قلبه في قلق حينما خطر بباله ما سيفعله به أنس عندما يعرف بفعلته السوداء، صاح في غضب مخاطباً زاهر:

-"عليك الإسراع قبل عودته!"

أومأ زاهر برأسه إيجاباً ثم سارع بوضع يده على رأس لارا وهو يغمغم بعبارات لم يفهم منها مالك حرفاً واحداً، تساءلت لارا في البداية عما يحدث وجعلت تحرك رأسها بقوة محاولةً الإفلات من قبضته لكنها ما لبثت أن سكنت عن الحراك واختفى سواد عينيها للتحول إلى اللون الأبيض تماماً وزاهر يواصل غمغماته، ثم بدأ يعلو صوته وجسدها ينتفض على نحوٍ أثار سخط مالك وغضبه من نفسه على ما يحدث بسببه، ثم بدأ زاهر يتحدث بشكلٍ مفهوم:

-"ستظل ملازماً لها حتى تقتله بعدها سأحررك"

نظرت إليه لارا وشفتاها تتحركان ليصدر عنها صوت خشن أثار الهلع في نفس مالك:

-"لكنه أقوى مني وقد يقتلني"

قال زاهر في صرامة:

-"عليك التنفيذ وإلا سأقتلك أنا ثم أحضِّر غيرك"

أغمضت لارا عينيها وساد الصمت بينهم لدقائق قبل أن تفتحهما ثانيةً وتعود لشكلها الطبيعي، لكنها لم تكن طبيعية على الإطلاق ظهر عليها آثار تعب واضح ونظرات خوفٍ تتناثر من عينيها، انخلع قلب مالك لرؤيتها على تلك الحال واقترب منها قائلاً:

-"هل أنتِ بخير يا صغيرتي؟"

نظرت إليه بعينين شاردتين، ثم قامت من مكانها وغادرت الشقة دون أن تنبس ببنت شفة، تلاحقها نظرات مالك الذاهلة الحزينة، قبل أن يلتفت نحو زاهر ويصيح غاضباً:

-"ما الذي أصابها لقد وعدتني أنها لن تشعر بشيء؟"

رمقه زاهر في برود:

-" وما الذي كنت تظنه؟ على كل حال سينتهي كل شيء بمجرد أن يقتل الخادم ذلك الكائن"

-"وكيف سنضمن حدوث ذلك في الوقت المناسب؟"

مط زاهر شفتيه وهو يجيبه:

-"لا توجد ضمانات! ليست سوى محاولة لا أحد يعرف كيف ستنتهي!"

****

غادر زاهر وبقي مالك في انتظار عودة أنس بعد أن اتصل به وأخبره بأنه قد جاء لرؤيته وأنه أخذ المفتاح من لارا وينتظره في الشقة.

صعد أنس إلى شقته ووضع الأغراض ثم نزل للقاء مالك، لم يكن على ما يرام مطلقاً يظهر من شكل عينيه أنه لم يذق طعم النوم الليلة الماضية، حكى له مالك ما حدث معه بالأمس وأنه رأى ما حدث لزين وشادي، اتسعت عينا أنس في ذهول وهو يخبره بأنه قد حدث معه الأمر ذاته بكل تفاصيله، انتزعهما من مكانهما صوت طرقات الباب، فتح أنس في حذر ليجده عمار وعلى وجهه ترتسم أعتى ملامح الفزع ترافقه لارا التي رمقها أنس بنظرة تعجب، فقال له عمار أنه صعد إلى شقته أولاً يسأل عن وجوده، فأخبرته لارا بأنه مع مالك بالأسفل وأصرت على مرافقته، صاح فيها أنس قائلاً:

-"اصعدي إلى المنزل حالاً!"

لكنها حدقت فيه بنظرةٍ حبست أنفاس ثلاثتهم بالمعنى الحقيقي فقد شعروا فجأةً بأنهم غير قادرون على التنفس ليجدوا ذلك الكائن يقف أمامهم لا يقيده سوى سلسال واحد، وصوته يرن في آذانهم:

-" أحدكم سيأتي معي الآن وإلا ستنتهي حياتها"

لم يكد يتم عبارته حتى انطلقت من حلق لارا صرخة مدوية قبل أن يتشنج جسدها، صاح أنس دون تردد:

-"أ..."

لكنه صمت رغماً عنه حينما ضغط مالك على فمه بكلتا يديه ليمنعه من الحديث، جن جنون الكائن فصرخ صرخة كادت تصم آذانهم ليجدوا أنفسهم في ذلك المنزل، مقيدون بسلاسل كتلك التي تقيده تماماً، وهو يضغط بكلتا يديه على رقبة لارا، اختلج قلب مالك واعتصرت الحيرة عقله، كيف جاءت إلى هنا؟ رغم أن زاهر أكد له استحالة أن يسمح لها ذلك الكائن بالعبور إلى عالمه؟ التفت نحو أنس الذي كان يجاهد للنهوض محاولاً الإسراع لتخليصها دون جدوى فتلك السلاسل تعيقه كلياً عن الحراك، صرخ فيه عمار:

-"لست في حاجةٍ للوصول إليها تعرف ما يمكنك فعله"

رنت عبارته في أذن أنس الذي تجمد في مكانه، أدرك مالك ما يدور في عقله فصرخ بأعلى صوته:

-"إياك أن تفعلها يا أنس، أقسم لك أنه يخدعك ليست هي، أخبرني زاهر أنه لا يجرؤ على إحضارها إلى هنا لأنها لا تزال طفله ووجودها يضعفه على نحوٍ يخشى حدوثه، لو كان باستطاعته إيذاؤها لفعل من البداية أليس كذلك؟!"

طرح سؤاله الأخير وهو يتطلع فيه باستجداء أملاً في أن يسمح لعقله بالتفكير في الأمر لثواني لعله يتراجع عن قراره، كان عقل أنس مشوشاً للغاية ومنظر ذلك الكائن وهو يعتصر رقبتها بيديه يفتك بقلبه، لكن سؤال مالك بدا منطقياً لماذا يصر على تهديده بها ليدفعه للاستسلام له؟ مع أن استسلامها مباشرة له يبدو أسهل بكثير، ثم رنت في أذنيه عبارة مالك التي قالها له بالأمس:

-" حذارٍ أن تستسلم له مهما رأيت وحاول تمييز الحقيقة من الوهم حتى لا يتمكن من خداعك".

داهمه شعور بالارتياح بعض الشيء وقرر تصديق مالك، فالتفت ينظر إليه نظره، تنفس لها ذلك الأخير الصعداء، بينما ثار عمار وقد فهم أن أنس تراجع عن الاستسلام، فهدر في جنون:

-" يا لك من غبي جب...!"

ثم بتر عبارته فجأة وعيناه تتسعان في ذهول وهما مثبتتان على ذلك الكيان الأسود الذي ظهر فجأة يشبه الأثير يتجه بسرعةٍ فائقة نحو الكائن، انطلقت شهقة عالية من حلق أنس وهو يتابع ذلك المشهد الغريب وتضاعفت دهشته حينما التحم ذلك الكيان مع الكائن تزامناً مع اختفاء لارا من أمامهم تماماً!

تهللت أسارير مالك وقد فهم أنه الخادم الذي ربطه زاهر بلارا غمغم في حبور:

-"سينتهي هذا الكابوس أخيراً"

لكنه ما لبث أن تلاشت فرحته وهو يلاحظ فرق القوة الواضح بين الكائن والخادم، ثم بدأ الخوف يسيطر عليه حينما أدرك أنه سيقتله لا محاله، لم يمض الكثير من الوقت حتى حدث ما كان يخشاه انتصر الكائن وقُتل الخادم!

وقبل أن يعي عقله فداحة ما حدث للتو حدث آخر ما كان يتوقع حدوثه في وقتٍ كهذا! أمام أعينهم ظهر شخص يرتجف لا يبدو أنه يراهم أو يشعر بوجودهم يصرخ في هلع قبل أن تنفجر رأسه ويُقطع السلسال الأخير!

فهم مالك أنه شخص مسكين قد شاهد ذلك الفيلم في وقتٍ ما واختار أسوأ توقيت للاستسلام، انتفضت كل ذرة في كيان مالك وقد أدرك أنهم أصبحوا في عداد الأموات، صوتٌ هادر كاد يصم آذان ثلاثتهم أطلقها ذلك الكائن احتفالاً بحريته بعد طول انتظار، ونظرة شيطانية تشي بما ينوي فعله بثلاثتهم انطلقت نحوهم كسهمٍ لا يخطئ هدفه، ارتجف عمار في هلع وهو يخاطبه قائلاً:

-" أنا كنت أساعدك! أرجوك لا تقتلني كنت خاد.."

وقبل أن يتم عبارته اختفى فجأة على نحوٍ أثار ذهول كل مالك وأنس، بل والكائن نفسه، ثم ظهر زاهر! عرفه مالك بصعوبة على الرغم من تلك الدماء التي تلطخ وجهه وتغطي جسده بالكامل، ومما زاد المشهد غرابة أنه لم يكن بمفرده، بل ظهر معه عدد هائل من الكيانات السوداء، صاح زاهر بكل ما أوتي من قوة مردداً عبارات لم يفهم منها كل من مالك وأنس شيئاً قبل أن تلتحم تلك الكيانات مع الكائن، ثم انتهى كل شيء على نحوٍ مباغت!

وجد أنس ومالك نفسيهما بشقة البواب، ولارا ترقد على الأرض أمامهما سارع أنس إليها محاولاً إفاقتها، حتى فتحت عينيها في بطء تنظر إليه في تعجب ثم احتضنته بكلتا ذراعيها فابتسم في حنو وهو يمسح على رأسها قائلاً:

-" الحمد لله أنك بخير!"

قالها وهو يلتفت نحو مالك ينظر إليه بامتنان كونه أنقذه مما كان ينوي فعله، لكن مالك كان يبحث في حيرة عن عمار الذي لم يكن له أدنى أثر في الشقة، أمسك بهاتفه محاولاً الاتصال به لكنه كان مغلق، ثم لفتت نظره تلك الرسالة المصورة المرسلة إليه من زاهر، لكنه أخفى الأمر عن أنس حتى يعلم محتواها أولاً فقال بابتسامةٍ مصطنعة:

-" أعد لارا إلى المنزل وأنا سأنتظرك هنا!"

أومأ أنس برأسه إيجاباً وهو يمسك بيدها مغادراً الشقة، سارع مالك بفتح الفيديو ليجد زاهر يخبره بآخر ما كان يخطر بباله سماعه:

-"حمداً لله على سلامتكم يا مالك، أعتذر لأنني لم أخبرك بخطتي الحقيقية، كنت أعلم من البداية أن الخادم لن ينجح في القضاء على الكائن، لكني كنت في حاجة لبعض الوقت لأتم ما أنوي فعله، عندما طلبت منك أن تطلب من عمار الحضور وسألتني عن السبب أخبرتك بأنك ستعرف في الوقت المناسب وها هو قد حان الوقت!

كنت أحتاج إلى بوابةٍ للعبور إلى هناك مع أعواني، تلك البوابة يشترط أن تتم من خلال شخص في حالة اتصال بذلك الكائن، وكان ذلك هو الدور الحقيقي للخادم الذي أرسلته عبر الطفلة، أن يؤكد لي تواجد عمار هناك، لكي أتمكن من فتح البوابة وأقدمه كقربان بشري للأعوان ليقبلوا بالمرور معي"

سرت قشعريرة باردة في جسد مالك مع سماعه لتلك العبارة، وانقبض قلبه خلف ضلوعه وزاهر يسترسل في الحديث:

-" نعم كما سمعت! قدمت عمار قربان لهم هو يستحق ذلك بعد ما فعله بكم، ولطخت جسدي بدمائه كي أتمكن من عبور البوابة!

بعد أن أكد لي الخادم اتصاله بالكائن عدت ثانيةَ إلى الشقة وأخذته إلى سيارتي وغادرت مسرعاً، فكما أخبرتك سابقاً كان في حالة غياب عن الوعي، جثته في شقتي، ذبحته لأحضر طقوسي، لا أعرف إن كان سيكتشف أحد أمرها يوماً ما أم لا، أنت تعلم بكوني أعيش بمفردي في منزل بمنطقة نائية ولا صلة لي بأي أحد، وحتى إن اكتشفوها سأكون أنا المتهم بقتله وحينها سيبحثون عني كثيراً ولن يجدني أحد، لأن ذهابي إلى هناك كان حقيقياً هذه المرة تم بمساعدة أعواني، ولا أعتقد أنني سأعود حياً أبداً!

سيحاولون قتله وإن لم يتمكنوا من ذلك فسأربطه بآلاف السلاسل هذه المرة ولن يتمكن من الخلاص إلى الأبد، وداعاً يا صديقي!"

انتهى الفيديو تاركاً مالك في حالة من الصدمة الممزوجة بالذهول، قرر أن يظل ما أخبره به زاهر سره الأبدي الذي لن يعرف أحد عنه شيئاً حتى آخر نفس في حياته.

****

بعد مرور قرابة العشرون عاماً

وأثناء ما كان نديم يُفرغ محتويات خزانة جده القديمة، والذي رفضت جدته المساس بها منذ وفاته المفاجأة قبل زمن بعيد حتى لحقت به قبل أيام، عثر على صندوق صغير مغلق بقفلٍ محكم، أثار فضوله وظن أنه سيعثر بداخله على شيء ثمين، كسر القفل وفتحه لتنعقد حاجبيه من المفاجأة فلم يجد بداخله سوى "فلاشة" قديمة!

كان مطوياً تحتها ورقة مكتوب فيها:

-" هو لعنتي وكنزي في الآن ذاته! لم يطاوعني قلبي للتخلص منه، بعد أن جمعت من ورائه ثروة طائلة من أولئك الحمقى الفضوليين، الذين كانوا على استعداد لدفع

أي مبلغ للحصول عليه، واعتبرتها ثمناً عادلاً لتحملي لذلك الجحيم، رغم يقيني بأنه سينتصر عليا في النهاية!"

تضاعفت حيرة نديم بعد قراءته لتلك الورقة، وزاد بداخله الإصرار على معرفة ما يعنيه جده وما الذي يخفيه بداخل تلك "الفلاشة" القديمة، فحاول جاهداً تجربة العديد من التوصيلات الحديثة، حتى نجحت إحداها في توصيلها بحاسوبه الحديث، ثم أصابه الإحباط حينما وجد محتواها مجرد فيلم رعب قديم، لم يفهم ما أهميته حتى يخفيه جده بتلك الطريقة ويكتب تلك الرسالة الغامضة؟!

لم تمضِ تلك الليلة حتى عرف إجابة تساؤله!

تمت

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة رواية

"جزيرة عين الأرض"

وثنائية سيڤارا "مملكة سيڤارا"، "ملحمة الدماء الزرقاء".

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-117973116713609/

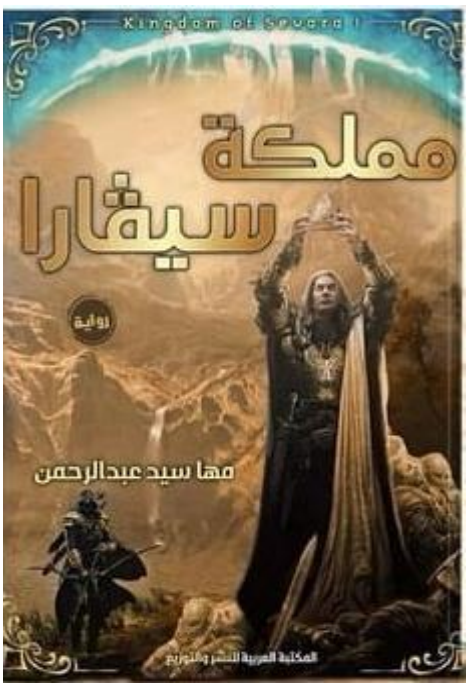
Kingdom of Severa I
مملكة سيفارا
رواية
مها سيد عبدالرحمن
المكتبة العربية للنشر والتوزيع

Kingdom of Severa II
ملحمة الدماء الزرقاء
"مملكة سيفارا 2"
مها سيد عبدالرحمن
المكتبة العربية للنشر والتوزيع

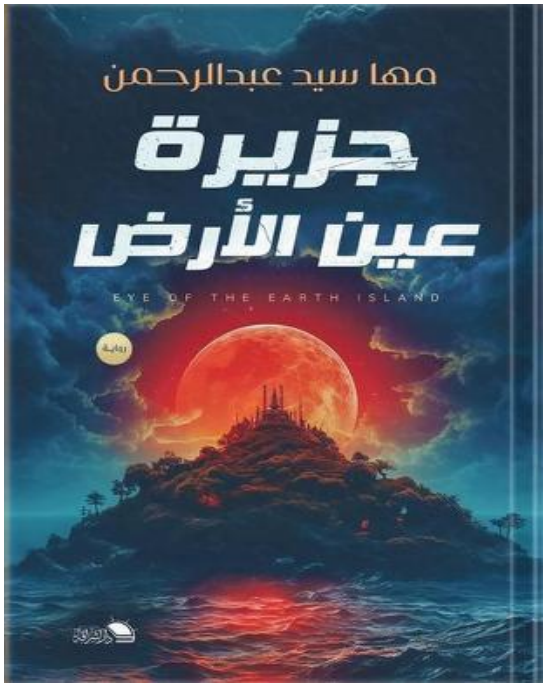
مها سيد عبدالرحمن
جزيرة عين الأرض
EYE OF THE EARTH ISLAND
رواية